القراءة الحداثية للسنة النبوية عرض ونقد.

Modernist reading of the Sunnah, presentation and criticism.

د. حنان خياطي

hanane khiyati

أستاذة التعليم العالي مساعد، مختبر دراسات الفكر والمجتمع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة– المغرب.

khiyatih@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 25. 2022/04/	تاريخ القبول: 2022/05/09	تاريخ النشر: 2022/06/01

*المؤلف المرسل: حنان خياطي

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الدفاع عن السنة النبوية وما تتعرض له من شبهات وتحريفات في فهمها وتفسيرها بهدف إبعادها من دائرة التأثير، تمهيدا لإقصائها جملة وتفصيلا فوجب التصدي لهم ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه حتى لا تغتر بهم العامة ويظن الناس أن ما ذهبوا إليه صحيح ومقبول.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية ; الحداثة ; القراءة الحداثية ; إنكار الوحي.

Abstract:

This study aims to defend the Prophet's Sunnah and the suspicions and distortions it is exposed to in its understanding and interpretation, with the aim of removing it from the sphere of influence, in preparation for its exclusion in whole and in detail

Keywords: The Sunnah of the Prophet; modernity; modernist reading; denial of revelation

مقدمة:

تعرضت السنة النبوية لهجمات شرسة ,تمثلت في إثارة الشبهات حول حجيتها ,فسلك منكروها طرقا متعددة لإنكارها جملة وتفصيلا بعد التشكيك فيها ,فزعم بعضهم أن القران الكريم شمل كل ما يحتاج إليه المسلمون

في حياتهم ,فلا حاجة لإقحام السنة في التشريع ,وأنها لم تكن وحيا منزلا ,وأن التحاكم إلى السنة والقضاء بوقفها يؤدي إلى الإشراك في الحكم ,وقد نهى الله عنه بقوله: (قُلْ إِنِّي على بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الأنعام 57,وغير ذلك من الشبهات المثارة حول السنة وحجيتها ,والقصد من ذلك هو هدم أسس الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم.

وإذا كان الله قد تكفل بحفظ القرآن من التحريف والتبديل، فإنه قد حفظ السنة أيضا، بأن وفق علماء الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الفقهاء والمحدثين بحفظ ما نقل عن الرسول ﷺ، فكانوا جنودا حقيقين ندبوا أنفسهم لخدمة السنة والدفاع عنها وتوطيد دعائمها، ووضعوا بثاقب نظرهم في هذه المعركة مرتكزات علمية وفكرية انطلقوا منها للذب عن حياض السنة النبوية، فجددوا المصطلحات والمفاهيم التي أصبحت معالم في الطريق، وركيزتهم في المعركة لدحض كل شبهة يثيرها خصوم الإسلام.

ولا تقل جهود المعاصرين في خدمة السنة النبوية والدفاع عنها من خلال مواجهة الحداثيين العرب ودفعُ شبهاتِهم وردُّ طُرُوحاتهم وكشف مفترياتهم، وهم الذين كانت لهم عديدُ المحاولات الآثمةِ التي تهدفُ إلى العبثِ بها ونبذها ومحاولة إلغائها وجعلها قابلة للنّقد والردّ، إنّ العناية بهذا الجانب تُعتبر من الجهود المعاصرة الضرورية في النهوض بها، والتي تَنظَمُّ وتُضاف إلى جهود العلماء الأوائل في الذود عن السنّة المطهّرة. هذا وإنّ الحداثة العربية في حقيقتها تمثّلُ امتدادًا للحداثة والاستشراق الغَرْبيين، حيث ردّدت شبهات الغرب حول السُّنة وزادت عليهم الكثير، فأنكرت صفة الوحي عن السّنة وادّعت عدمِ حجيتها وشكّكت في طريقة تدوينها، ودعت إلى تسويتها بسائر الخطابات البشرية، وزعمت أنها مجرّدُ تراثٍ لغوي، وأنها سببُ تخلّف المسلمين، كما طعن رُوّادُها في المحدّثين ومصنفاتهم، وانتقصوا من المناهج التُّراثية النَّقدية لعلم مصطلح الحديث، واستبدلوها بمناهج غرْبيَّة غرِيبَة عن التصور الإسلامي.

وتهدف هذه الدراسة إلى الدفاع عن السنة النبوية وما تتعرض له من شبهات وتحريفات في فهمها وتفسيرها بهدف إبعادها من دائرة التأثير، تمهيدا لإقصائها جملة وتفصيلا فوجب التصدي لهم ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه حتى لا تغتر بهم العامة ويظن الناس أن ما ذهبوا إليه صحيح ومقبول.

أهمية الموضوع:

كان للقراءة الحداثية الأثر السَّيئ على السُّنة، حيث استطاعت أن تجلب إليها جمهرةً واسعةً من المثقفين المسلمين الذين انخدعوا بطروحاتها، مما يستوجب بذل الجهد الكبير لأجل صدِّ وتعرية هذا الفكر المنحرف وحماية الأُمَّةِ منه.

من أهداف البحث:

بيان حجية السنة، والمساهمة في الذود عنها، وصد الهجمة المنظمة عليها، والتعريف بأوهام الحداثيين وافتراءاتهم واستجلاء مواقفهم منها.

ومن الإشكالات التي أود الإجابة عنها:

ما مفهوم الحداثة وكيف نشأت؟ ما موقفها من السنة؟ ما هي دلائل الحداثيين في إنكار السنة النبوية؟ ولماذا الدعوة إلى أنسنتها كمدخل لرفضها مطلقا؟

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي على الموضوع وجدت دراسات سابقة ومنها:

-القراءة الحداثية العربية للنص الديني (محمد أركون ونصر حامد أبو زيد نموذجا): محمد خالد الشايب، جاءت الدراسة للوقوف على النص الديني عند اثنين من أعلام الحداثة.

-الصلة بين الوحي والواقع في فكر حسن حنفي، محاولة للتفهم: بلال مقنعي: جاءت هذه الدراسات لمناقشة فكر علم من أعلام الحداثة، حسن حنفي من زاوية ثنائية الواقع والوحي.

-القراءة الحداثية للسنة النبوية عرض ونقد: الدكتور محمد بن عبد الفتاح الخطيب، حاولت الدراسة الوقوف ضد كل من يدعي قراءة النص المؤسس للشرعية في الإسلام.

-رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء السنة النبوية الشريفة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، رسالة دكتوراه، حاول فيها الباحث الرد على الطاعنين في عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-الحداثة في ميزان الإسلام: عوض بن محمد القرني، تكلم فيه عن الحداثة وجذورها التاريخية وعن أساليب الحداثيين في نشر فكرهم.

-مصطلح الوحي في الفكر العربي المعاصر بين الفكر والمحايثة: إلياس قويسم، أبرز فيه بعض تصورات النخب الفكرية العربية في قراءتها للنص الديني.

-الحداثة وموقفها من السنة النبوية، رسالة دكتوراه، إعداد: الحارث فخري الحارث عيسى عبد الله، استعرض فيه الباحث مواقف الحداثيين العرب من السنة النبوية بهدف استجلاء مواقف الخطاب الحداثي ومناقشته.

-مفهوم التأويل في فهم الحديث النبوي، دراسة تأصيلية نقدية تطبيقية: د عمار الحريري، بحث أعد للمشاركة في المؤتمر الدولي بعنوان التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين حاول من خلاله الباحث الوقوف على دلالة التأويل في الحديث النبوي، وكيف تعاملت معه الفرق والمذاهب لنصرة مذاهبها

منهج البحث:

تسير هذه الدراسة على المنهج التاريخي، بالوقوف على مفهومي السنة والحداثة، والمنهج الوصفي النقدي، بوصف شبهات الحداثيين العرب من إنكار وحيية السنة ومفهوم الأنسنة، ثم الرد على هذه الشبهات.

وقد تضمن البحث العناصر التالية:

أولا: مفهوم السنة النبوية وأهميتها وحجيتها.

ثانيا: التعريف بالحداثة والحداثيين العرب.

ثالثا: القراءة الحداثية للسنة بين إنكار الوحي والأنسنة.

المبحث الأول: السنة النبوية في اللغة والاصطلاح:

المطلب الأول:

1- في مَعْنَى السُّنَّةِ لُغَةً:

وأما لُغَةً :فَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ سَنَنْتُ الشَّيْءَ بِالْمِسَنِّ[1] إِذَا أَمْرَرْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِيهِ سَنًّا أَيْ :طَرِيقًا، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ :مَعْنَاهَا الدَّوَامُ فَقَوْلُنَا: سُنَّةٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِالْإِدَامَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَنْتَ الْمَاءَ إِذَا وَالَيْتَ فِي صَبِّهِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ:[2]أَصْلُهَا الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ، فَإِذَا أُطْلِقَتِ انْصَرَفَتْ إِلَيْهَا، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا مُقَيَّدَةً كَقَوْلِهِ" :مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً "وَقِيلَ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُعْتَادَةُ، سَوَاءٌ كَانَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ" :مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[3]."

2-في معنى السنة اصطلاحا:

وَأَمَّا مَعْنَاهَا شَرْعًا :أَيْ: فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الشَّرْعِ فَهِيَ: قَوْلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِعْلُهُ وَتَقْرِيرُهُ، وَتُطْلَقُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ عَلَى الْوَاجِبِ وَغَيْرِهِ فِي عُرْفِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ، وَأَمَّا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْفِقْهِ فَإِنَّمَا يُطْلِقُونَهَا عَلَى مَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَتُطْلَقُ عَلَى مَا يُقَابِلُ الْبِدْعَةَ كَقَوْلِهِمْ :فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي "فِقْهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ :[4]"وَكَرِهَ الْعُلَمَاءُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ :سُنَّةُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ.

وَيُجَابُ عَنْ هَذَا بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ" :عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْهَادِينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ .[5] "وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ :إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ بِالسُّنَّةِ هُنَا الطَّرِيقَةَ.

وَقِيلَ فِي حَدِّهَا اصْطِلَاحًا هِيَ :مَا يُرَجَّحُ جَانِبُ وُجُودِهِ عَلَى جَانِبِ عَدَمِهِ تَرْجِيحًا لَيْسَ مَعَهُ الْمَنْعُ مِنَ النَّقِيضِ.

وَقِيلَ هِيَ :مَا وَاظَبَ عَلَى فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ تَرْكِهِ مَا بَلَا عُذْرٍ.

وَقِيلَ هِيَ :فِي الْعِبَادَاتِ النَّافِلَةُ، وَفِي الْأَدِلَّةِ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْبَحْثِ عَنْهُ في هذا العلم.

وتعريف السُّنَّة عند أهل الحديث يختلف عن تعريف السُّنَّة عند الأصوليين والفقهاء، إذ السُّنّة عند علماء الحديث أوسع من السُّنّة عند الفقهاء، وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي:

تعريف السنة عند الأُصوليّين:

السنة في اصطلاح الأصوليين هي: ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير مما يصلُح أن يكون دليلاً لحكم شرعي[6]، فعلماء أصول الفقه بحثوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من حيث أنّه مشرّع يبيّن للناس دساتير حياتهم، ويُمهّد السبيل للمجتهدين من بعده، لأجل ذلك يبحث الأصوليون عن أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقريراته التي تُثبت الأحكام الشرعية[7].

تعريف السنة عند المُحدّثين:

إنّ للسُّنَّة عند المحدثين اصطلاحات عِدّة، فيُطلق عليها الحديث ويطلق عليها الأثر، وفيما يأتي آراء علماء الحديث في معنى السنة والأثر والخبر:[8] يرى جمهور علماء الحديث أنّ السُّنّة والحديث والأثر بمعنى واحد، وهو الأولى بالاعتبار[9].

ذهب بعضهم إلى أنّ السُّنة هي الأحاديث التي تُؤخذ منها التشريعات، فلا يدخل فيها الحديث المنسوخ، ولا صفات النبي –صلى الله عليه وسلم– الخَلقية، لأنّه لا يُؤخذ منها أحكام شرعية.

ذهب بعضهم إلى أنّ الخبر أوسع من الحديث، فهو يشمل ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وما ورد عن غيره، والحديث هو فقط ما نُقل عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فكلّ حديث خبر، وليس كلّ خبر حديثاً.

قال بعضهم الأثر هو ما نُسب إلى الصحابي أو التابعي، والحديث هو ما نُسب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وإجمالاً فالحديث في اصطلاح المحدِّثين هو ما أُضيف إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صِفة خَلقية أو خُلقية،[10] فيكون إطلاق السُّنَّة عند المحدثين أوسع منه عند علماء الأصول والفقهاء؛ لأنَّهم يبحثون عن النبي –صلى الله عليه وسلم– كونه قدوة، فكلّ ما يتَّصل به من سيرة، وشمائل، وخُلق، وأخبار، وأقوال، وأفعال، هو موضع اهتمامهم سواء كان يُثبت به حكم شرعي أم لا.[11]

تعريف السنة عند الفقهاء:

السُّنّة في اصطلاح الفقهاء هي: الصفة الشرعية للفعل المطلوب طلباً غير جازم بحيث يُثاب المرء على فعله، ولا يُعاقب على تركه.

وقد تُطلق السُّنّة عندهم على ما يقابل البدعة، مثل تقسيمهم الطلاق إلى طلاق سُنّي، وطلاق بِدعي؛ أي غير موافق للسُّنّة والأمر المشروع، فيُقال: إنّ هذا العمل سُنّة؛ أي مشروع له أصل في الشرع، سواء كان شَرْعه في الكتاب أو في السُّنة.[12]

والفقهاء بحثوا عن أفعال الرسول –صلى الله عليه وسلم –التي تدلُّ على حُكم شرعي؛ من وجوب أو حُرمة أو ندبٍ أو إباحة أو غير ذلك، فالسُّنة عندهم حُكم، أي هذا الفعل حكمه السُّنية والندب، فهو ليس فرضاً ولا واجبا.[13]

المطلب الثاني: أهمية السنة وحجيتها:

السنة مصدر في التشريع الإسلامي، وحجة في الفكر الإنساني، ولولاها ما اتضحت معالم الإسلام، ولا ظهرت معاني القرآن، ولا استنبطت أحكامه، ولم يقدم ايّ' كتاب أو حديث من الخير والهدى والصلاح للناس مثل ما قدم القرآن والسنة، وكيف لا وهما وحي من الله تعالى.

روى الأوزاعي عن حسان بن عطية أنه قال :(كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن)[14]

ولا يختلف المسلمون في حجية السنة وأهميتها. قال الشوكاني (إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام)[15],فكل سنة مجمع على صدورها من النبي صلى الله عليه وسلم فهي حجة شرعية لا يجوز ردها، وإن إنكار حجيتها موجب للرّدّة، كما قرّر ذلك علماء الإسلام[16].

وقد تحدث السلف عن أهمية السنة، ومن ذلك قول الأوزاعي :(الكتاب أحوج إلى السنة من

السنة إلى الكتاب)[17]

هذا وحققت السنة غايات كثيرة في مختلف مجالات الحيات ف (السنة النبوية فإنها جاءت بدعوة وهداية للإنسانية، تشمل جميع مناحي الحياة، وآفاق الإنسان والحضارة والثقافة، حتى إن طرقت شيئا من أبواب الأغراض الإنسانية المعروفة، فإنما تطرقه من باب سمة الإبلاغ لهذه الرسالة، وبيان الحكم الإلهي، أو الموعظة أو العبرة)[18],كما لا يقتصر الحديث النبوي على الوعظ والترهيب والترغيب، بل (إن الأحاديث تقدم للإنسان علوما ومعارفا جديدة كل الجدة على المعارف العربية، بل على المعارف العالمية والإنسانية)[19].

المبحث الثاني: الحداثة المفهوم والنشأة:

باتت "الحداثة "من أهم المصطلحات الفلسفية والفكرية المعاصرة إثارة للنقاش والأخذ والرد والجدل، ولذلك

سنسعى من خلال هذا المبحث إلى محاولة إيضاحها عن طريق تناول البعد الاشتقاقي لكلمة "الحداثة "ومن ثمة الإحاطة بمفهومها الاصطلاحي الغربي والعربي، ثم التطرق إلى سياقها التاريخي عبر ذكر أهم محطاتها وأسسها الفكرية.

يجمع أقطاب الخطاب الحداثي ونقاده, أن الحداثة العربية وليدة الحضارة الغربية ,وهي امتداد فكري وثقافي لما حدث ووقع في الغرب ,فقد نمت وترعرعت هناك ثم انتقلت الينا ,ف (في أصلها ونشأتها مذهب فكري غربي ولد ونشأ في الغرب ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين وكل ما يقوله الحداثيون في المجتمع العربي ليس إلا تكرارا ونقلا لما قاله حداثيو أوروبا وأمريكا ,وهم مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة الغربية خضوعا مطلقا غير مبرر ,كموقفهم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوحي ,كما أنهم استعادوا المقولات الاستشراقية كلها ,كالتشكيك في مصدر القران)[20]

وإذا أردنا التدقيق أكثر في الجذور الأولى للحداثة العربية في هذا السياق، يقول بلقزيز:"ولدت الرؤية الحداثية في الثقافة العربية بتأثير فكرة الحداثة الغربية علينا، ودخلت أبوابنا من مدخل ادبي وفني يشهد على ذلك مسرح توفيق الحكيم وروايات نجيب محفوظ وشعر نازك الملائكة، وحركة (مجلة شعر).

وهو ما أشارت إليه الكاتبة الحداثية خالدة سعيد بقولها:" إن البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة قد أطلقت يوم ذاك؟"[21]

وقد تحول الحداثيون العرب إلى أداة لحماية الأفكار الغربية، وتقويض البنى الفكرية والفنية التقليدية وتشابك خليط الثقافات المستجلبة عبر وسائل الإعلام ومنتجاتها المدعمة للتصريح الثقافي الحداثي الغربي[22] .وبالتالي فالحداثة العربية لم تنشأ وفق مقتضيات فكرية فلسفية عربية أصيلة، بل هي نتاج فكري غربي حاول الحداثيون العرب أقلمته مع المناخ العربي وأول الانطلاقة كانت بضرب الثوابت والتشكيك فيها.

المطلب الأول: مفهوم الحداثة الغربية والعربية:

أولا: الحداثة الغربية:

1-الإشتقاق اللغوي للحداثة الغربية:

يمكن القول إن كلمة "حديث" هي الترجمة العربية للمصطلح الغربي Moderneوأشباهه في اللغات الأوروبية فكلمة Moderneمشتقة من الظرف الزماني اللاتيني Modoيعني "توا", والتي عبرت عن

الاعتراض على ما هو قديم والذي كان يميز العصور اليونانية والرومانية القديمة عندما ظهرت في القرن 14م[23],أما في اللغة الفرنسية فكلمة حداثة Modernité فمشتقة من الجذر Mode وهي الصفة والشكل، أو هوما يبتدئ به الشيء[24] .أما عن أول من استعملها ,فيشير القاموس Le robert أن الروائي الفرنسي بلزاك أونوريه ,وهو أول من استعمل لفظ Modernité وذلك سنة 1823م.[25]

لتدرج بعد ذلك في القواميس والموضوعات الغربية.

الأمر هنا يتعلق في الجانب اللغوي بالحديث عن مصطلح يحمل بعدا زمنيا في طياته، فهو تعبير عن تحقيب أو تصنيف تاريخي معين، قامت بمقتضاه الأزمنة والعصور بالتسمية والتقسيم.

2-التعريف الاصطلاحي للحداثة الغربية:

عند تعريف الحداثة اصطلاحا نجد أننا أمام كم هائل من التعريفات،

فعلى صعيد اللسان الغربي نجد أن الحداثة عند أهل الغرب تعني: "تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات "[26] وهذا التعريف عند (ماركس وإميل دور كايم، وماكس فيبر).

وهي عند "جيدن": تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي"[27]

ويعرف الفيلسوف الألماني "كانت " الحداثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول: "الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره" [28]وباعتبار أن (كانت) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد "في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية.... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل"[29]

ويعرف (رولان بارت) الحداثة بأنها:" انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه فيقول: " في الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة، وتتحرر شهوات الإبداع في الثورة المعرفية مولدة في سرعة مذهلة، وكثافة مدهشة أفكارا جديدة، وأشكالا غير مألوفة، وتكوينات غريبة، وأقنعة عجيبة، فيق بعض الناس منبهرا بها، ويقف بعضهم الآخر خائفا منها، هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضا ". "[30]

ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلا: "إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى

واليأس"[31] والحداثة عند(تورين) باختصار كما يقول في كتابه نقد الحداثة "تستبدل فكرة الله بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد"[32]

كما عرفها "جان بوديار" بقوله: «ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا أو مفهوما سياسيا أو مفهوما تاريخيا بحصر المعنى، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد ومع ذلك تضل الحداثة موضوعا عاما يتضمن في دلالته إجمالا الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله، وإلى تبدل في الذهنية"[33]

ثانيا: الحداثة العربية:

1-الإشتقاق اللغوي للحداثة العربية: الحداثة من فعل "حدث" ويرد في اللغة العربية بالمعاني الاتية:

-جاء في معجم لسان العرب: "الحديث نقيض القديم، حدث الشيء، يحدث حدوثا وحداثة، وأحداثه هو محدث وحديث، وكذلك استحدثه "[34]

-وفي معنى اخر للحداثة: «حدثان الشيء بالكسرة: أوله، وهو مصدر حدث يحدث حدوثا وحدثانا"[35]

-كما ورد في معجم الوسيط: «الحدثان: يقال: حدثان الشباب، وحدثان الأمر: أوله وابتداؤه "[36]واستخدام هذا المعنى بكثرة كناية عن سن الشباب، فالحداثة "سن الشباب"[37]

-والحديث: الجديد من الأشياء، أما الحديث في معنى اخر: الخير يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث"[38]

هذه بعض الدلالات المعجمية لكلمة حداثة نوجزها فيما يلي: الحداثة نقيض القدم، وتعني الجدة، والحداثة أول الأمر وابتداؤه، والحداثة كناية عن أول الأمر وسن الشباب، والحديث الجديد من الأشياء، والحديث هو الخير.

2-التعريف الاصطلاحي للحداثة العربية:

الحداثة في التداول العربي مصطلح يتسم بالغموض الدلالي، والتناقض و"اللاوحدة " و"النسبية"[39],ويتميز: بعدم الانضباط وعدم الوضوح وعدم الاستقرار على حال ثابت [40]

عرفها المعجم الفلسفي العربي بأنها: (نزعة تأخذ بأساليب جديدة في نواحي الحياة الفكرية والعملية)[41]

عرفها الباحث محمد رشيد ريان بأنها :(محاولة الإنسان المعاصر رفض النمط الحضاري القائم، والنظام المعرفي الموروث، واستبدال نمط –جديد معلمن –تصوغه حصيلة (خليط) من المذاهب والفلسفات الأوروبية المادية الحديثة به على كافة الأصعدة الفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية)[42] وعرفتها خالدة سعيد ,أنها (وضعية فكرية لا تنفصل عن ظهور الأفكار والنزعات التاريخية التطورية ,وتقدم المناهج التحليلية ,وهي تتبلور في اتجاه تعريف جديد للإنسان عبر تجديد جديد لعلاقته بالكون .إنها إعادة نظر شاملة في منظومة المفهومات والنظام المعرفي.....ويمكن أن يقال إنها: إعادة نظر في المراجع والأدوات والقيم والمعايير)[43].

ويقول أنس سليمان المصري هي:(منهج فكري أدبي علماني، مبني على عدة عقائد غربية ومذاهب فلسفية، يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ)[44].

من خلال هذه التعاريف نخلص إلى أن الحداثة حركة فكرية تقوم على رفض التراث وإحداث قطيعة معرفية مع الماضي وتجاوز التقاليد المألوفة، وإعادة صياغة العلوم والمناهج والقيم وفق مصادر معرفية غربية حديثة، لأجل الخروج برؤية جديدة عن حقيقة الإنسان والكون والطبيعة والحياة، وتختلف عن الرؤية السابقة.

وقد قامت الحداثة برفض وتغيير كل ما هو قائم وكل ما هو موجود ولم تخص حقلا معرفيا أو مجالا علميا بعينه، بل هي حركة شاملة، امتدت إلى كل مجالات الحياة كالدين والفكر، والاجتماع.

المبحث الثالث: القراءة الحداثية للسنة النبوية بين نفي الوحي والأنسنة:

نقصد بالقراءة الحداثية للسنة النبوية تلك: النزعة الفكرية التي تتبنى عدة قواعد فكرية غربية معاصرة في التعامل مع السنة، بغية رفضها وإلغائها كمصدر من مصادر الدين، وإحداث قطيعة معرفية معها ومحاولة تفسيرها وتأويلها بعيدا عن قواعد علم الحديث وأصوله.

ولقد وقف الحداثيون تجاه السنة النبوية موقف المعادي الشديد العداء [45] ،وهم في هذا متفاوتون فمنهم من يردها جملة ومنهم من يرد بعضها إن خالف أفكارهم مرددين حججا واهية مع التقليد لأقوال المستشرقين والزيادة عليها[46] وقد صدرت منهم شبهات عديدة، يصعب حصرها هنا، ومن أبرزها التالي:

المطلب الأول :نفي صفة الوحي عن السنة النبوية:

من أهم المسائل التي خاض فيها أرباب الفكر الحداثي، القول بنفي وحيية السنة؛ وعدم اعتبارها مصدرا تشريعيا حيث يقول نصر حامد أبو زيد: " ليست السنة مصدرا للتشريع وليست وحيا، بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب[47] "، ويسعون من خلال ذلك إلى إلغاء وحييتها بالتركيز على أنسنة النصوص؛ أي التحرر كليا من مرجعيتها الدينية، و"نقلها من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، وعدها غير قابلة للفهم والتحليل مالم يخلع عنها طابع الأزلية والقدسية والغيبية[48]"، وإعطائها البعد البشري، فتنتقل من نص متعال عن الزمان والمكان إلى نص يتحكم فيه الإنسان، وهو الذي يحدد معناه، مما يغيب المعنى الحقيقي للنصوص النبوية، فهي في نظر الحداثيين إما نصوص ناتجة عن تفكير بشري؛ أي بشرية المصدر، أو أن بعضها وحي، لكن بمجرد انفصاله عن مصدره يتأنسن فهما وتطبيقا، فيخضع لمفاهيم البشر[49] ، ويكون النص الديني قابلا للقراءة وفق مفاهيم متعددة فيصبح بإمكان القارئ له أن يتعامل معه ويحلله وفق ما فهمه منه بعيدا عن قدسيته ووحييته.

وينطلق الحداثيون في تأكيد وحيية السنة من مبدأ التسليم بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم فالقول بمبدأ العصمة هو ما أدى–حسب زعمهم– إلى اعتبار كل ما صدر عنه، يرتقي إلى منزلة الوحي الإلهي ونفي صفة البشرية عنه[50] ، حيث "تعتبر عصمة النبي أحد المستندات النظرية العقلية الرئيسية التي أسس بواسطتها الأصوليون حجية السنة[51] "،ومنه ينبغي قراءة السنة على أنها نتيجة لتعامل النبي صلى الله عليه وسلم كبشر غير معصوم مع خطاب ما من منطلق إنسانيته، في وقت معين وبيئة معينة لا يتعداهما، غير لازم بالاتباع والطاعة؛ مما يسوغ لأي بشر قراءتها بما يتلاءم ومعطيات العصر الذي هو فيه، لذا فالنتيجة التي يريد أن يصل إليها الحداثيون بإنكار صفة الوحي عن السنة هو اعتبارها خطاب عادي قابل للنقد والتفكيك، ونزع هالة القداسة عنها، ومن ثم العمل على تقويض بنيانها وإلغاء البعد التشريعي لها.

"فالحداثي ينظر إلى النصوص على أنها إما بشرية ابتداء أو بعضها وحيا إلهي المصدر، ولكنه عندئذ يقول بأنسنتها، فهما وتطبيقا بمجرد تجسده بالوضعية البشرية، وبلغة بشرية، وخضوعه لأفهام البشر".[52]

فهم يهدفون إلى النفي التام للقول بأن السنة مصدر إلهي ووحي كالقرآن الكريم وبدل ذلك يعتبرونها "نصوص لغوية شأنها شأن أي، نصوص أخرى في الثقافة وأن أصلها الإلهي لا يعني أنها فيّ درسها وتحليلها تحتاج إلى منهجيات ذات طبيعة خاصة تتناسب مع طبيعتها الإلهية.. هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية"[53]

فبعد تفكيكهم لحجية السنة وتفكيك مفهومها ذهبوا للقول بأن: (السبب الكافي وراء النزوع إلى جعل السنة في مستوى واحد مع النص القرآني، فلعله تمثل في النظر إلى السنة على أنها أكثر تشخيصا وتخصيصا من النص القرآني، وبالتالي أكثر طواعيةّ منه)[54]

أي؛ أن ما فصلته، السنة وخصصته مما أجمله القرآن أو عمّه وما سوى ذلك كان هو السبب لاعتبارنا في جعل السنة ثاني الوحي وأنه غير صائب. فالنبي ﷺ لم يأت بالجديد بل بلغ ما أوحي به إليه وما جاء به خاضع للنقد، ومنه ما هو صائب وما هو عكس ذلك حتى إنهم ضبطوا وحيية السنة بأن تكون كالقرآن يجب أن يكون نصها (قرآنا يقرأه المسلم عند أدائه فروض صلاته)[55]

فما من كلام مقدس عندهم سوى ما جاء عنه ﷺ وكان عدم قراءة السنة في الصلاة دليل على بشريتها أو على انتفاء صفة الوحي عنها، وذلك لا يستقيم إذ بالضرورة أن يكون كل وحي صالحا أو تجوز قراءته في الصلاة[56]

ولنفي صفة الوحي عن السنة النبوية استدل الحداثيون بأمور عدة منها:

1-رفض الآيات التي استدل القائلون بأن السنة وحي، وتأويلها وقراءتها قراءة حداثية، ومنها قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم:3 - 4

واستدلالهم ببعض تلك الآيات لا يستقيم فقد حرفوا الكلم عن مواضعه وغيروا معانيها، ونفي صفة الوحي عن السنة النبوية بدليل عدم كتابة النبي ﷺ لها، بل ونهيه عن ذلك، ورفض حديث النبي ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[57] واستدلالهم بهذا الحديث (لا يستقيم لأن وجود الشيء ومثله لا يفهم منه أن هذا المثل مكملا للأصل أو للآخر وأن الأصل غير مكتمل، بل يعني أن هذا المثل يختلف عن مثله، وهو جسم آخر مغاير للأصل الذي يماثله)[58].

2-القول بأنها أقوال منسوبة للنبي ﷺ، وانه لم ينزل عليه ﷺ سوى القرآن وحيا بواسطة جبريل وكذا قولهم أُمرنا بإتباع الوحي فقط والسنة ليست كذلك ونبيكم لم يؤت- ﷺ غيرُ القرآن .

وادعوا بأن الأحاديث الموضوعة تنفي الوحيية عن السنة النبوية لأنها غير صائبة، وأنكروا تقسيم الوحي، وأقروا بعدم وجوده فالقران وحده وحي، والوحي لا يتغير والأحاديث تروى بالمعنى.

وما يرد على كلامهم هو أن الحديث التشريعي وحي من الله تعالى لأنه سبحانه قال في كتابه الكريم: (الْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: 44،

فقد بينه ﷺ أحسن بيان، وبذلك بيان رسول االله ﷺ هو بيان االله تعالى، وبيان الرسول لا يكون بيان االله إلا بوحي جلي متلو منه سبحانه عز وجل وهو القرآن، وشتان بين الأحاديث المنقولة إلينا بالأسانيد المتصلة المقبولة عقلا وعرفا بل وفطريا.

وكذلك قولهم أن :

السنة خاصة بزمن النبي ﷺ:

فلو كانت خاصة بزمنه لم ﷺ اهتم بأمر تبليغ سنته لمن بعده حيث قال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها لمن لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[59]، وقوله أيضا: " ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم" [60]

وكذلك ما رواه أبو هريرة: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي[61] "

وكيف غاب عنهم اهتمام الصحابة بالسنة، ما قام به أبي بكر الصديق بميراث الجدة، عملا بحديث رسول الله:" اقض بما في كتاب الله. وكتابة عمر ابن الخطاب إلى قاضيه شريح [62]:"اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ "[63].....وغيرها كثير من نماذج الصحابة لاهتمامهم بالسنة.

أن القرآن الكريم لم ينقد والسنة النبوية نقدت: لكن علماء الحديث الذين نقدواُ الحديث أرادوا ألا ينسب إليه ﷺ ما لم يصدر عنه كما أم أرادوا التثبت مما ثبت ومما لم يثبت عنه ﷺ كل ذلك لتجنب الكذب عن أشرف خلق الله ﷺ.

ومحمد شحرور يعتبر السنة النبوية: (قرارات نابعة من الظرف الموضوعي المعاش في المجتمع العربي في العصر النبوي؛ في حين أن السنة لم تكن كذلك بل هي أوامر من الشارع لعباده على لسان نبيه ﷺ ,و اجتهاد في تقييد الحلال لا يحتاج إلى وحي، و اجتهاد في حقل الحلال يخضع للخطأ والصواب من حيث أنه ليس وحيا ,ومن حيث أن الخطأ فيه قابل للتصحيح)[64]، وكأنه يعتبر السنة مجرد محاكاة لما يحصل في المجتمع النبوي، وأنها اجتهاد جاء منه ﷺ لا يحتاج لوحي، فهو لا يعتبر السنة وحيا بل ينفي تماما حاجتها له، كما أنه يعتبرها قابلة للخطأ والصواب من حيث أنها ليست كذلك .وفي آخر مطافه اعتبرها قانونا مدنيا تسير عليه دولة العهد النبوي.

وكذلك نصر حامد أبو زيد هو الآخر ينكر أن تكون السنة وحيا ويطلق عليها اسم مصطلح "النص الثانوي"، كما يقول: (إن الرسو ل ﷺ حامل رسالة بلغها عن ربه هي القرآن وفي هذا البلاغ يكمن الوحي، أما سنته فمنها ما هو شرح وبيان، ومنها ما هو اجتهاد، وفي هذا القسم الأخير اختلف المختلفون. وما فعله الإمام الشافعي إزاء هذا الاختلاف هو أنه أدمج كل العناصر في مفهوم كلي وضعه في المستوى نفسه المقدس للوحي؟ أي لكلام الله، وبهذا الصنيع صار كل ما ينطق بهً محمد وكل ما يفعله وحيا، واختفت الحدود

والفواصل بين الإلهي والبشري، ودخل الأخير دائرة المقدس)[65] ، وكأنه يريد بذلك أن الإمام الشافعي لم يكن عليه أن يدمج ويجمع بين البشر والإله .وذلك غير صائب، وأنكر على الإمام فيما فعله من ضم السنة إلى القرآن واعتبارها وحيا حيثّ يقول: (الإمام الشافعي بما قام به من إدماج السنة في الوحي حول التقاليد والأعراف والعادات القرشية إلى وحي)[66] ، فهو هاهنا اعتبرها عادات وتقاليد ولد من المجتمع القرشي تربى عليها النبي ﷺ وفرضها عليهم والإمام الشافعي اعتبر تلك العادات وحيا وذلك لا يجوز .

كما أنه قال:(وليست بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب... وهو اعتبار السنة وحيا من نمط مغاير عن وحي الكتاب. إن وحي السنة هو "الإلقاء في الروع" أي الوحي بالمعنى اللغوي، الذي هو الإلهام، وليس بالمعنى الاصطلاحي أي عن طريق الملك جبريل)[67]فهو أنكر وحيية السنة ويعتبرها مجرد بيان لما جاء به القران الكريم، كما أنه يبين أنه حتى وإن اعتبرت السنة وحيا فلن تكون كالقران بل وحيا بالمعنى اللغوي [68] فالسنة لم تكن مصطلح ثانوي ولا يمكن فصلها عن القران، فهي وحي منه سبحانه وتعالى والإمام الشافعي أصاب فيما فعل حين ضمها للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنسنه السنة النبوية:

اتجه الحداثيون إلى التصدي والوقوف أمام شرع الله وتحديه، بنسب ما لا ينسب له ولا يليق. إذ بادروا بتلفيق مواصفات للسنة النبوية ولنبي الله ﷺ لأجل إنكارها وتنفير أهل الإسلام منها لكنهم لم يفلحوا بذلك وظلت سنة رسوله صامدة لم يغيرها شيء وكيف لها أن تتغير وقد قال سبحانه وتعالى فيها :(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر9 .

ومن مثل ما قالوه في ذلك:

1-قولهم بأن السنة ليست إلا تجربة بشرية سرت على بشر عادي وبإمكانها أن تفشل تلك التجربة و بفعل صاحبها، والقول بأن القرآن والإسلام كله إنما هو من صنع محمد– ﷺ –بحكم تجربته البشرية وهي تجربة رجل يتمتع في آن واحد بأنه رجل دين وممارسة ونضال منخرط في قضايا التاريخ وعندما جاء وجد مجتمعا بعادات وتقاليد ودين وثقافة...، فأراد–كما يقول أركون :تغييره والانتقال به إلى إطار مؤسساتي آخر [69]، ومخالطته للأقوام والأديان السابقة، ومعايشته لواقع قومه وذلك بدليل سفر النبي ﷺ المتعاقب في رحلات التجارة إلى الشام، بل ذهب — جعيط – إلى أنه قد مكث في الشام وأقام فيها متتلمذا على يد رهبانها وأحبارها [70]

2-السنة بالنسبة لهم حديث نفس وليس وحيا، بالمعنى أنها عملية استرجاع لتلك التجربة الشخصية لمحمد ﷺ لاحتكاكه بالتجارب وما يعايشه قومه، حتى صار كل ما يشعر به بداخله خارجا وهي نوع من الإلهام والإيحاء و (كل ما اختزنه محمد في ذاكرته يسترجع عن طريق الوحي، في حالة الإيحاء الداخلي، عن طريق الصوت ، الداخلي الملهم في فترات الانخطاف والذي اعتبره محمد بكل حماس وحيا إلهيا من الخارج)[71] بينما الصواب عكس ذلك، فهم يعتبرون شخصية النبي ﷺ الفذة والقائدة والمفكر والعبقري وغيرها من المواصفات التي تعظمه وتبجله كافية تماما بان تغطي وتحجب ذكر صفة الوحي والنبوة عنه ﷺ فالقول بأن السنة وحي من الله عندهم (فيه سلب النبي- ﷺ - خصائصه من الفهم الثاقب والرأي الصائب)[72] .

3- يرفضون مبدأ عصمة النبي ﷺ عن الوقوع في الخطأ، واستندوا بدعواهم إلى وجود آيات بها عتاب شديد للنبي ﷺ وبالروايات التي يخبر النبي ﷺ عن نفسه قال: " إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا، بقوله: فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها "[73] .

4-ذموا شخصيته ﷺ بالنيل من شخصه ونزع القداسة والمكانة عن السنة النبوية، فقد حاولوا كثيرا لتشويه صورته ومما فعلوه :

-الطعن بسبب اليتم: لكن طعنهم هذا لا يجدي نفعا لان في اليتم اعتماد على النفس وتعلم ذلك، بل وبه يكون الشخص نفسه دون الاتكال على غيره.

-شك النبي ﷺ في أمر نبوته: استدلواً بقوله تعالى: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يونس/ 94 ظنا منه انه سبحانه عز وجل يعاتبه رسوله ﷺ ولكن هذه الآية نزلت على أقوام الأنبياء السابقين تخبره ﷺ ّ أنه إن كذبه قومه فلهم نفس جزاء أولئك الأقوام .

وللرد على مزاعم الحداثيين وادعاءاتهم:

ليس إلا بالقول أنه مادام لم ينكر شرع الله عز وجل ووحيه -القران الكريم-ما أقر به ﷺ من أحكام وتكاليف لعباده فما شأن أولئك في الطعن بأقواله وأفعاله ﷺ وما صدر عنه (ومتى اجتهد النبي ﷺ وسكت الوحي عن اجتهاده اعتبر هذا إقرارا من الله عز وجل له واكتسب صفة ما أوحى إليه به ,وبهذا المعنى يعتبر كل ما صدر عن النبي ﷺ وحيا ,مصداقا لقوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ

دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)) النجم 1-18.

وقد عني الصحابة رضي االله عنهم والأمة الإسلامية بتبليغ السنة النبوية حفظا وفهما وفقها وبلغوها بلفظها – وهو الغالب والأصل – أو بمعناها إلى من جاء بعدهم من التابعين، وبلغهاً التابعون لتابعي التابعين وهكذا .

الخاتمة:

جنت الحداثة العربية على السنة جنايات كبيرة، فقد مارست عليها أشكال من التشكيك والتشويه والتمييع، وضروبا من النقد المنفلت والتأويل المنحرف والقراءة التعسفية وتبقى من أسمى الأهداف التي سطرها الفكر الحداثي سعيه لتكريس أنسنة الإلهي ورفض المصدر الإلهي للوحي، وعدها مجرد ظواهر اجتماعية، وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات تاريخية معينة، والسعي لإلغاء، وتمييع كل المتعاليات، والمقدسات بالطعن والتشكيك في الأمور الغيبية، والمعجزات، وعدها مجرد خرافات، وأساطير عفا عليها الزمن، ومن ثم الدعوة لإعادة النطر في هذه الأمور، وتجديدها بما يتوافق، والرؤية التجديدية التنويرية، وتفسيرها تفسيرا علميا إنسانيا يتوافق والواقع, ولا عجب في ذلك فقد قامت الحداثة لأجل الثورة على الدين وإبادته, واستهدف الدين الإسلامي عبر التاريخ دون غيره من الأديان بحملات من التشوية والتشهير للنيل منه ,والتهوين من شأنه ,ولعل أسباب تلك الحملات تعود في المقام الأول لما يتمتع به الدين الإسلامي من نظام تشريعي متكامل صالح بمبادئه وأصوله أن يلبي متطلبات الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان .

ومن هنا نتوجه بتوصيات للحفاظ على السنة النبوية الشريفة من مثل تلك الادعاءات:

- ضرورة الدفاع عن السنة النبوية بالحفاظ عليها وصونها من شبهات هؤلاء الحداثيين.
- تصحيح وتصويب أفكار ذلك الاتجاه بنشر السنة الصحيحة ودحض ما رسموه عنها.
- إنشاء كتب ومؤلفات تعنى بدراسة هذا اتجاه وتبين أفكاره الخاطئة للقراء.
- الدعم التعليمي والإعلامي لكل المشاريع العلمية والبحثية والإعلامية التي تبرز تراث الأمة العظيم دينيا وسياسيا وعلميا

الهوامش:

[1]– حجر يحدد به. أبي نصر إسماعيل بن عماد الجوهري الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر، القاهرة، دار الحديث، (1430هـ-2009م)، مادة سنن.

[2]– هو حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، العلامة، فقيه، محدث. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة هجرية، وهو من ولد زيد بن الخطاب "أخي عمر"، وكانت ولادته سنة تسع عشرة وثلاثمائة هـ، من آثاره: "معالم السنن في شرح سنن أبي داود" "غريب الحديث" "أعلام السنن". ا. هـ. سير أعلام النبلاء "17/ 23" معجم المؤلفين "2/ 61" الأعلام "2/ 273."

[3]– أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة "1017". وابن ماجه، المقدمة "203". والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو ضلالة "2675" وقال: حسن صحيح. والنسائي كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة "2553" 5/ 75. وابن حبان في صحيحه "3308."

[4]– واسمه "فقه اللغة" لأبي الحسين، أحمد القزويني المعروف بابن فارس المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هـ، وهو المسمى بالصاحبي؛ لأنه ألفه للصاحب كشف الظنون "2/ 288" ابن عباد.

[5]– أخرجه الترمذي من حديث العرباض بن سارية، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة "2676" وقال: حسن صحيح. ابن ماجه في المقدمة "43". وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة "4607."

الإمام أحمد في المسند "4/ 126". ابن حبان في صحيحه.

[6]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، (1422هـ-2001م)، ص61.

[7]– رواه الالباني، في منزلة السنة، عن مالك بن انس، الصفحة أو الرقم:13، حسن

[8]– عبد الكريم زيدان، المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، (1425هـ-2005م)، ص180.

[9]– طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إل أصول الأثر، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط1، (1416هـ-1995م)، ص 40.

[10]– مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص 49.

[11]– محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، الإسكندرية، مركز الهدى للدراسات ،1415هـ، ص 17-18.

[12]– جمال الدين القاسمي، كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، (1425هـ-2004م)، ص 61.

[13]– محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق علي عبد الباسط، القاهرة، دار ابن الجوزي، ص 95.

[14]–عبد الله بن بهرام الدارمي السنن القاهرة، مصر، دار إحياء السنة النبوية، ط1346/1, ج145/1.

[15]– إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المرجع السابق، ج 189/1.

[16]– ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، القاهرة، دار ابن الجوزي.

[17]– المصدر نفسه، ص 193/1.

[18]–نور الدين عثر، مكانة المجتمع في مقاصد السنة الأساسية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي الإمارات، العدد 9 ,1995, ص 68.

[19]– المصدر نفسه، ص 68.

[20]–قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المغرب، نشر المركز الثقافي العربي، ط 1 ,2013 م، ص 93.

[21]–خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، 1984م، العدد :3.

[22]–إيمان أحمد الغزاوي، الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي أنموذجا، مجلة، دراسات وعلوم الشريعة والقانون، مجلد 43,عدد 1, 2016 , ص3.

[23]– محمد الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، بيروت، إفريقيا الشرق,1998م، ص 107.

[24]–صفدي مطاوع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، بيروت، مركز الانتماء القومي ,1990م، ص 223.

[25]–بلزاك اونوريه: (1799م–1850)، كاتب وروائي فرنسي، من أبرز أعماله: الرواية الفلسفية.

[26]–علي أسعد وطفة، مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، عدد 34 ص,2.

[27]– المصدر نفسه، ص 1.

[28]– علي أسعد وطفة، مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، ص11.

[29]– مقاربات في مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 11.

[30]– عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، ط 1 ,992م، السعودية، دار النحوي للنشر والتوزيع، ص35.

[31]–المصدر نفسه، ص 35.

[32]– مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 16.

[33]– انظر: محمد سمير عبد السلام: قراءة في فكر جان بوديارwww.arabworldbook.com

[34]–ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ط1، (د–ت)، مادة (ح د ث)، ص 796.

[35]–المصدر نفسه، ص 796.

[36]–شوقي ضيف واخرون، المعجم الوسيط، ط4 ,مصر، مكتبة الشروق الدولية,2004م، مادة (ح د ث) ص 160.

[37]– شوقي ضيف واخرون، المعجم الوجيز، مصر، وزارة التربية الوطنية ,2004م، مادة (ح د ث) ص138.

[38]–ابن منظور، لسان العرب 798.

[39]– طرد الكبيسي، كتاب المنزلات– الجزء الأول–منزلة الحداثة، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1992/1 ص 11.

[40]–عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، القاهرة، المصرية العامة للكتاب، 2005 م، ص 15.

[41]–المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطامع الأميرية، القاهرة مصر، 1983 ,مادة تجديد.

[42]–محمد رشيد ريان: الحداثة والنص القرآني، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة الأردن 1997 ص 15.

[43]–خالدة سعيد، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، المجلد الرابع، 1984، العدد 3,ص 26.

[44]–أنس سليمان المصري، المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، 2015، مج 42، العدد 1، ص 81.

[45]–الحارث فخري عيسى، الحداثة وموقفها من السنة النبوية، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1992/1, ص 820.

[46]– جمال الدين الخضور، مأساة العقل العربي: دراسة في البناء الأنثروبولوجي الثقافي المعرفي العربي المعاصر، دمشق، دار الحصاد، 1995، ص119.

[47]– نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، القاهرة، مطبعة مدبولي، ط2، 1996م، ص 39.

[48]–محمد عبد الفتاح الخطيب، القراءة الحداثية للسنة النبوية وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي، ورقة مقدمة في ندوة علمية دولية بعنوان: «السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، (1430هـ–2009م)، ص 285.

[49]–الحداثة وموقفها من السنة، المرجع السابق، ص 119.

[50]– محمد بن حجر القرني، موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1434هـ، ص 391

[51]–جمادي الذويب، السنة بين الأصول والتاريخ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2013 م، ص81.

[52]– الحارث فخري عيسى عبد الله، الحداثة ومرجعها من السنة النبوية، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا ,2010 م، ص 119

[53]– نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط4، ص 206.

[54]–طيب تيزيني، النص القرآني امام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع –دمشق، ط1، ص 106.

[55]–زكرياء اوزون، جناية البخاري إنقاذ الدين من أمام المحدثين، بيروت، لبنان، يناير 2004 ,ط1، ص 14.

[56]–الحداثة وموقفها من السنة النبوية، المرجع السابق، ص 120.

[57]– حديث صححه الإمام الألباني، أخرجه الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب الكندي أبي كريمة، عن النبي ﷺ ,17174,ج28,ص 418.

[58]– جناية البخاري إنقاذ الدين من أمام المحدثين، المرجع السابق، ص 14.

[59]– رواه الإمام احمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ر13350,ج21,ص 60.

[60]– الإمام البخاري، كتاب العلم، باب: ليبلغ الغائب الشاهد،ٍر105,ج1,ص33.

[61]– رواه الحاكم كتاب العلم ,319,ج1,ص172.

[62]– ابن سعد الطبقات الكبرى، ت، محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 ,1410هـ–1990م، ج6,ص 182.

[63]–رواه الإمام النسائي، كتاب آداب القضاة، الحكم باتفاق أهل العلم، ر 5399 ,ج 8 ,ص 231.

[64]– الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، المرجع السابق، ص 35.

[65]– المصدر نفسه، ص 44.

[66]– المصدر نفسه ص 83.

[67]– المصدر نفسه ص83.

[68]–بمعنى الإلهام.

[69]–محمد أركون، العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب، بيروت، لبنان، دار الساقي ط3 ,1996م، ص 46.

[70]– هشام جعيط، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1 ,يناير2007، ص 150.

[71]–المصدر نفسه ص155.

[72]–الحداثة وموقفها من السنة النبوية، المرجع السابق 128–131.

[73]– محمد أبو شبهة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ط2, 1406–1985م، مجمع البحوث الإسلامية– القاهرة، ص4

References

- a stone to be determined by. Abi Nasr Ismail bin Imad Al-Jawhari Al-Sahih, The Crown of the Language and the Arabic Language, review: Muhammad Muhammad Tamer, Cairo, Dar Al-Hadith, (1430 AH-2009 AD), Sunan subject.

- He is Hamad bin Muhammad bin Ibrahim Al-Khattabi, the scholar, the jurist, the orator. He died in the year eighty-eight three hundred AH, and he was the son of Zaid bin Al-Khattab, "my brother Omar".

- Narrated by Muslim from the Hadith of Jarir bin Abdullah, Book of Zakat, Chapter on Encouraging Charity (1017). And Ibn Majah, Introduction "203". And Al-Tirmidhi, Book of Knowledge, Chapter: What happened to the one who asks for advice and follows it or goes astray “2675” and says: It is good and true. And al-Nisa'i, Book of Zakat, Chapter on encouraging charity, "2553" 5/75. And Ibn Hibban in his Sahih, "3308".

- And his name is “Fiqh al-Lughah” by Abi al-Hussein, Ahmed al-Qazwini, known as Ibn Faris, who died in the year three hundred and ninety-five AH, and his name is al-Sahibi; Because he composed it for the author, Kashf al-Zunun (2/288) Ibn Abbad.

- Al-Tirmidhi included it in the hadith of Al-Irbad bin Sariyah, Book of Knowledge, Chapter on what happened to the adoption of the Sunna "2676" and he said: It is good and TRUE. Ibn Majah in the introduction "43". And Abu Dawud, Book of Sunnah, Chapter on Sunnah Obligation (4607).

Imam Ahmad in Al-Musnad "4/126". Ibn Hibban in his Sahih.

- Ibn Faris, Dictionary of linguistic measures, Beirut, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1st edition, (1422 AH-2001 AD), p. 61.

Narrated by Al-Albani, in the Statute of the Sunna, by the authority of Malik bin Anas, page or number: 13, good

- Abdul Karim Zaidan, Introduction to the Study of Islamic Law, Beirut, Lebanon, Al-Risala Publishers Foundation, 1st edition, (1425 AH-2005 AD), p. 180.

- Taher Al-Jazaery Al-Dimashqi, Directing Looks to Usul Al-Athar, Beirut, Office of Islamic Publications, 1st edition, (1416 AH-1995 AD), p. 40.

- Mustafa Al-Sebaei, The Sunna and Its Place in Legislation, The Islamic Office, Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, page 49.

- Mahmoud Al-Tahan, Facilitating the Term of Hadith, Alexandria, Al-Huda Center for Studies, 1415 AH, pp. 17-18.

- Jamal Al-Din Al-Qasimi, The Book of Rules for Modernizing the Arts of the Term Hadith, Beirut, Al-Risala Foundation, 1st Edition, (1425 AH-2004 AD),

- Muhammad Al-Shawkani, Guiding Al-Fuhul to Realizing the Truth from the Science of Fundamentals, studied by Ali Abdel-Basit, Cairo, Dar Ibn Al-Jawzi,

- Abdullah bin Bahram Al-Darimi Al-Sunan, Cairo, Egypt, Dar Ihya Al-Sunnah Al-Nabawiyyah, 1/1346, Part 1/145.

- Guide the stallions to reach the truth from the science of trumps, previous reference, volume 1/189.

- Ibn Abd al-Barr, Collector of the explanation of knowledge and its virtues, survey of Abu al-Ashbal al-Zuhairi, Cairo, Dar Ibn al-Jawzi.

- the same source,

Noureddine Ather, The Status of Society in the Purposes of the Basic Sunnah, Journal of the College of Islamic and Arab Studies, Dubai, Emirates, Issue 9, 1995,

- the same source,

Qasim Shoaib, The Fitna of Modernity, Morocco, published by the Arab Cultural Center, 1st edition, 2013 AD,

Khaleda Saeed, The Intellectual Characteristics of Modernity, Fosoul Magazine, 1984 AD, Number: 3.

Iman Ahmed Al-Ghazawi, Arab modernists and their attitude towards the Quran, The phenomenon of revelation as a model, Journal, Studies and Sciences of Sharia and Law, Volume 43, Number 1, 2016,

Muhammad al-Din Avaya, Modernity and Communication in Contemporary Critical Philosophy, Beirut, East Africa, 1998.

Safadi Mutawa, Critique of the Western Spirit, Modernity and Postmodernity, Beirut, National Affiliation Center, 1990,

- Balzac Honoré: (1799 AD-1850), French writer and novelist, one of his most outstanding works: the philosophical novel.

Ali Asaad Watfa, Approaches to the concept of modernity and post-modernity, Fikr and Criticism Magazine, n° 34, p.2.

,Ali Asaad Watfa, Approaches to the concept of modernity and postmodernity -